

الفصل السابع:

ملف الاضطرابات الجامعة (4)

الفرق بين "الزمن" و"الوقت" (2)

بُعد "الزمن" وفق الطب

دروس من أبقراط

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD011115.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/11/01
السنة التاسعة - العدد: 2984



أنهيت في نشرة أمس بما يلي:

".....حيث حركية الزمن تكاد تكون واحدة في هذه الخبرات الثلاث (إبداع الحلم، والإبداع

الفائق، والإبداع المجهض = الجنون) مع اختلاف الناتج والمآل".

حين راجعت هذه الجملة أشققت على زملائي الأصغر، مع أنني أصبحت أعتبر هذا الذي أنهيت

به نشرة أمس من البديهيات التي يتحتم على أي ممارس يتصدى لمعايشة حركية الوعي في المرض إلى الصحة أن يلم بها.

ليس معنى أن أفصل "بُعد الوقت" عن "بُعد الزمن" أن ألغى أهمية قياس وفحص ما هو "وقت"

وخاصة في توظيفه للعلاقة بالواقع، والعلاقة بالآخر، وهما عمودان أساسيان في إرساء دعائم الصحة النفسية والحياة السوية، وحين نصل إلى وصف الاضطرابات سوف نجد أن رصد وتحديد اضطرابات الوقت: عند المرضى أسهل وأوضح وربما أكثر فائدة في النهوض بهم من وهدة المرض، أما اضطرابات الزمن فأتوقع أن أواجه صعوبة في عرض الاضطرابات المتعلقة بها وأن تلقى صعوبة أكثر عند محاولة وصفها تحديدا لرصدها ثم التعامل معها.

ماهية الزمن وحركية الوعي:

نظراً لأن ما وصلني عن الزمن كان أقرب إلى حركية الوعي بمستوياته المختلفة سواء في زخم

الإبداع، أم توليف الأحلام، أم تناثر الجنون، وذلك من واقع خبرتي الإكلينيكية ونشاطي النقدي المتوازي في نقد النص الأدبي مع نقد النص البشري، فقد وجدت أن أقدم مفهومي عن الزمن من مقتطفات من النقد الأدبي أولاً: لأنها أكثر وضوحاً ومباشرة، لعلها تتيح فهماً موازياً ولو بالقياس لما أعنيه بنقد النص البشري الذي هو مفتاح التعرف على حركية الوعي في المرض خاصة.

وبالرغم من احتمال التكرار أرجو أن يكون فيما اخترت من مقتطفات من نصوص نقدية سبيلاً إلى تقديم مفهوم الزمن كحركية نابضة، وأيضاً في تسهيل تصوره مكاناً متغيراً منتقلاً، أعتقد أن الإمام بطبيعته يعطى للممارس المعالج مجالاً للمشاركة في إعادة التشكيل حيث أنني أفترض ابتداءً أنه إذا استطاع الطبيب أن يستوعب من خلال الممارسة أولاً (متضمنة الإشراف والتدريب) حركية الزمن، كما أحاول أن أقدمها وهي في هذا المفترق بين هذه الظواهر الثلاث، فإنه من خلال فن النقد العلاجي (متضمناً تنشيط حركية الوعي البيئشخصي، والوعي الجمعي) يصبح أقدر على استيعاب احتمال الانتقال من إجهاض الإبداع إلى تشكيل الحلم، ومن السماح بتشكيل الحلم تلقائياً، إلى إبداع

ما وصلني عن الزمن كان أقرب إلى حركية الوعي بمستوياته المختلفة سواء في زخم الإبداع، أم توليف الأحلام، أم تناثر الجنون، وذلك من واقع خبرتي الإكلينيكية ونشاطي النقدي المتوازي في نقد النص الأدبي مع نقد النص البشري

يقول أبقراط:

أولاً: "الوقت" هو حيث توجد الفرصة.

والفرصة تلوح حين لا يكون هناك وقت كاف

الذات في نقلة نوعية محتملة.

الطب فن أكثر منه علما منذ أبو الطب: أبقراط

وقبل أن نواصل عرض المقطعات دعونا نستمتع لأبي الطب "أبقراط" وهو يصنف الطب فنا، ويحذر من البدء أو الاستسلام للتظير قبل الممارسة، أو أن يكون وصيا عليها، وهو أيضا ينبهنا إلى معنى جديد لما هو الوقت، وفن التوقيت، ولا أعرف كيف نسي معظم الأطباء كل هذا الإبداع النقدي من أبي الطب، كله يقول أبقراط:

أولاً: "الوقت" هو حيث توجد الفرصة،

والفرصة تلوح حين لا يكون هناك وقت كاف،

(ثم يردف) وحين يتبين الطبيب ذلك عليه أن ينتبه ليس إلى النظريات الجاهزة المُحكّمة، وإنما إلى الخبرة متزاوجة مع المنطق السليم، ذلك لأن النظرية هي منظومة نتذكرها مما وصلنا عبر الإدراك الحسي أساساً". [1]

فلاحظ هنا أنه عرّف الوقت ليس بالساعة وإنما بعلاقته مع الفرصة المناسبة، كما أنه نبّه إلى عكس ما توصي به الإغارة الدوائية الأحدث وخاصة ما يسمى "الطب النفسي الترجمي" Translational Psychiatry الذي يفرض أن يكون البدء من المعمل إلى السرير أو من المكتب إلى السرير [2]، مما يجعل الطب أداة تطبيقية لمعلومات جزئية متباعدة لم تتعدّ مرحلة الفروض على الأرجح .

كذلك نلاحظ كيف جعل أبقراط المنطق السليم الحالى (امبريقيا) هو الأكثر مصداقية عن النظريات التي تُفرض من خارج الممارسة ومن خارج ثقافة المريض قهرا.

ثانياً: يقول أبقراط أيضا:

"إن الاستنتاجات ليست سوى مقولات لفظية غير مثمرة، اللهم إلا تلك التي هي مبنية على حقائق ماثلة (الآن)، إن التأكيد بالكلام يحتمل التأويل والخداع، ولذلك علينا أن نتمسك بالحقائق في ذاتها بصفة عامة، وأن نشغل أنفسنا بهذه الحقائق إذا كان هدفنا أن نكتسب العادة (المهارة) اليقينية المسماة "فن الطب" [3]

فلاحظ كيف أنه نبه إلى تواضع التواصل بالكلمات، وهامشية التأويل اللهم إذا كانت تفيد المعادل الموضوعي [4] للتعبير (التواصل) وقد راجعت ما أدعو إليه من أن يكون البدء من الممارسة من واقع ثقافة المريض العامة والفرعية، وهذا هو أقرب ما وصلنى من استعمال أبقراط تعبير "الحقائق".

وأخيراً فإن حذق "فن الطب" (وليس تطبيقات معلومات العلوم الوصية على الطب) ليس إلا بشحن مهارة الطبيب بالاشراف والمتابعة وتنمية الخبرة الإكلينيكية ليمارس ما أسماه أبقراط دون تردد "فن الطب".

ثالثاً: وليس أخيراً، يقول أبقراط أيضا:

"الحياة قصيرة، والفن ممتد، والفرصة هاربة، والحكم على الأمور صعب، والخبرة مخاطرة مراوغة". [5]

وهذا القول هو ما صدّرت به موقعى الالكترونى المتواضع منذ ظهوره، وأنا لم أستعره من أبقراط مباشرة، بل التقطته من كتاب عن الغدد الصماء ألفه

نلاحظ كيف جعل أبقراط المنطق السليم الحالى (امبريقيا) هو الأكثر مصداقية عن النظريات التي تُفرض من خارج الممارسة ومن خارج ثقافة المريض قهرا

إن حذق "فن الطب" (وليس تطبيقات معلومات العلوم الوصية على الطب) ليس إلا بشحن مهارة الطبيب بالاشراف والمتابعة وتنمية الخبرة الإكلينيكية ليمارس ما أسماه أبقراط دون تردد "فن الطب"

استاذنا بول غليونجي، وكنت أدرس منه وأنا أحضّر لتخصص دبلوم الأمراض الباطنية، وظللت أسترشد به في معظم ممارستي بعد أن تخصصت في "فن الطب النفسي"، وكلما تقدم بي العمر شعرت أكثر كم هي قصيرة "الحياة"، وكم هي هرابة الفرص، برغم حرصى على ألا تفوتنى فرصة واحدة حتى أحقق قوله السابق أن "الوقت هو حيث توجد الفرصة"، وأيضا أتبين أكثر فأكثر أنني كلما ازددت معرفة خجلت من إصدار حكما على غيرى، وأخيرا أفرح أنني أمارس فناً إبداعيا كل لحظة مع مرضاى كما وصفه أبو مهنتى منذ أكثر من عشرين قرنا.

وبعد

انتهت منى نشرة اليوم حين حلّ أبقراط ضيفا يؤكد لنا طبيعة هذا الذى نمارسه إبداعا ونقدا، وهو "فن الطب"، فشعرت أنه يدعم موقفى ومصادرى، وأنه يؤيد أن أقتطف من اجتهاداتى فى نقد النص الأدبى ما يعيننى على نقد النص البشرى لعل صعوبة الإحاطة بما هو "زمن" تخف قليلا. وهذا ما سنواصله الأسبوع القادم.

[1] - Time is that wherein there is opportunity, and opportunity is that wherein there is no great time. Healing is a matter of time, but it is sometimes also a matter of opportunity. However, knowing this, one must attend to medical practice not primarily to plausible theories, but to experience combined with reason. For a theory is a composite memory of things apprehended with sense perception.

[2] - From desk to bed-side.

[3] - Conclusions which are merely verbal cannot bear fruit, only those do which are based on demonstrated fact. For affirmation and talk are deceptive and treacherous. Wherefore one must hold fast to facts in generalizations also, and occupy oneself with facts persistently, if one is to acquire that ready and infallible habit which we call "the art of medicine."

[4] - استعرت هذا المصطلح "المعادل الموضوعى" من النقد الأدبى حيث يفيد أن يحتوى النص ما يريد توصيله بأكثر قدر من البلاغة الموضوعية.

[5] - Life is short, and Art long; the crisis fleeting; experience perilous (deceitful) , and decision difficult.

*** **

كلما تقدم بي العمر شعرت
أكثر كم هي قصيرة "الحياة"،
وكم هي هرابة الفرص

أتبين أكثر فأكثر أنني كلما
ازددت معرفة خجلت من
إصدار حكما على غيرى

تنظم مؤسسة العلوم النفسية العربية
أسبوع "العربية" وعلوم النفس
الأسبوع السنوي الثاني
من 18 الى 2 ديسمبر 2015



دعوة للمشاركة في اثناء الأسبوع الثاني بحراسات في
الموضوع

المجلة العربية للعلوم النفسية
مجلة فصلية محكمة في علوم النفس

العدد 46- صيف 2015

الملف الجنوسية المثلية... من الاسواء الى الاضطراب



تنزيل كامل العدد

(تنزيل خاص بالمشاركين / محمي بكلمة عبور)

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=46

الإفتتاحية

www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ46/apnJ46First&Editorial.pdf

دليل الأعداد السابقة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>